الذكر والعشر (٢)

أ. أناهيد السميري

يوم الثلاثاء ١ ذوالحجة ١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

http://tafaregdroos.blogspot.com/#!/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

http://www.muslimat.net/

- الكمال لله عزّ وجلّ، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله. .

والله الموفق لما يحب ويرضى.

عناصر اللقاء :

- مقدمة ومراجعة لما سبق
- تفصيل في حال المرتبة الأولى (الذاكر بقلبه ولسانه).
- توضيح لقول ابن القيم أن عقل المؤمن مثل الرحى تدور فتطحن..
- مجالات التفكير التي تؤدي إلى الذكر

١. التفكر في الآيات الكونية

٢. التفكر في الآيات الشرعية

٣. التفكر في الأمثال التي ضُربت في الكتاب والسنة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعل مساءنا هذا –مساء أول يوم من أيام العشر– مساء ذكر وزيادة إيمان، ومن أعجب أحوال الخلق أن تجري عليهم الليالي والأيام سريعًا، فها نحن أمس بدأنا لقاءاتنا في أول ساعات من أول ليلة، وها نحن نلتقي بعدها بقليل وتكون آخر ساعاتنا في هذا اليوم العظيم وقد انقضى من فرصة العشر يوم ما ندري ما كان فيه إلا أننا نرجو أن يكون ختامه ذكر فيُختم لنا اليوم عند رب العالمين أننا من الذاكرين.

وقد ذكر ابن رجب في رسالته (المحجة في سير الدلجة) كلامًا لطيفًا يشير فيه إلى أن آخر النهار من كل يوم وقت يفضل على أوله، فأن يختم العبد يومه بذكر الله هذا من فضل الله عز وجل على العبد، فإنه كما أن الذكر في كل وقت عمل فاضل، ولما تأتي الأيام الفاضلة يصبح عمل فاضل في وقت فاضل، ولما يأتي آخر هذا الوقت فيكون الفضل أعظم، وهذا له أدلته وله كلام لأهل العلم لو روجعت رسالة المحجة في سير الدلجة لابن رجب تجدون إن شاء الله ما ينفع في ذلك.

الشاهد أننا نرجو من الله أن نختم أول أيامنا ولياليا هذه المباركة بذكر الله بالاجتماع في هذا الدرس، راجين أن يكون اجتماعنا سبب لرحمة الله، فإن رحمة الله قريب من المحسنين، والله عز وجل يقول { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ}[1] فقد جعل الله للوصول إلى رحمته أسبابًا، فهي قريبة من المحسنين وهي مكتوبة للمتقين، فنرجو من ربّ العالمين أن يجعل تدارسنا وتعلمنا من الإحسان والتقوى وسببًا للإحسان والتقوى، اللهم آمين.

ونرجو أن نعتاد على ذكره والتفكر في آلائه وعطاياه في هذه الساعة من النهار فنكون ممن داوم على العمل، ومن المعلوم أن ((أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ))[2] فنبذل جهدنا أن تكون هذه الساعة فيها من السداد والاقتصاد والتيسير ما يوصلنا إلى الثبات على الطريق، وكما في الحديث إنكم لن تنالوا هذا الأمر بالمغالبة، وفي الرواية الأخرى ((وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ))[3].

فاللهم بلغنا مراضيك.. فاللهم بلغنا مراضيك.. فاللهم بلغنا مراضيك

---

[1] الأعراف: ١٥٦

[2] متفق عليه.

[3] رواه البخاري في صحيحه.

قد كنا بالأمس قد متّعنا الله بساعة من الزمان نتكلم فيها عن ذكره سبحانه وتعالى وكيف أنه من أجل هذا الذكر جعل الله هذه الآيات العظام وهذه العقول التي تنظر إلى هذه الآيات العظام، وجعل هذه الأقدار التي تجري وهذه الأحوال التي تسري والخلق ينظرون إلى آثار كمال الله ولازالوا ينظرون إلى آثار كمال الله، فيخرج منهم الذكر كما يحب الله ويرضا.

والآيات والنصوص الصريحة أو الضمنية كثير في كتاب الله وفي سنة النبي تدل على فضل الذكر، مررنا على شيء منها وإشارات وكان آخر كلامنا شيء مهم جدا وهو ما حقيقة الذكر؟

وسنعود إلى حقيقة الذكر لكن بعد تقرير أمر مهم من أجل أن لا يلتبس علينا موضوع حقيقة الذكر.

- معلوم أن أنواع الذكر له ثلاثة مراتب كما تكلم أهل العلم:

١. يكون بالقلب واللسان وهذا أعلاها
٢. ويكون بالقلب فقط وهذا أقل من الأول.
٣. ويكون باللسان وهذا أقلها جميعًا. ومع ذلك يعتبر مرتبة من مراتب الذكر.

يعني هي أقل أن نذكر بلساننا ولا نجد قلوبنا لكن تعتبر مرتبة من مراتب الذكر.

وفي هذا نتذاكر كلام الإمام الشافعي في قوله: "سيروا إلى الله عرجا ومكاسير، فإنّ انتظار الصحة بطالة".

والمقصد أن لا نتأخّر عن طاعة الله هذه الطاعة لم تأتِ على كمالها ولم تبلغ ما يتصور من حضور القلب ومن زكاء النفس، لكن لا بأس يبقى الإنسان يسير سواء كان صحيح القدمين قد تمّ له السير الصحيح الصريح أو يسير ولو كان فيه عرج.

وكما قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "لا يزال المرء يعاني الطاعة حتى يألفها ويحبها" والله يقول **{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}**[٤] فالمقصد أن مراتب الذكر ثلاثة:

المرتبة الأولى التي نرجو من الله أن نكون من أهلها وهي آمالنا ونحن في خير ما دام أننا نأمل هذه الآمال، أن نجمع بين ذكر القلب واللسان. ثم أقل منها ذكر القلب. ثم أقل منها ذكر اللسان.

---

[٤] العنكبوت: ٦٩

وهذه مراتب الذكر من كَمُل له الخير واستمرّ عليه فهذه منزلة يؤتيها الله من يشاء، وإلا نسير إلى الله ونسأل الله أن يغفر لنا التقصير ونسأل الله أن يقبل منا القليل وأن يشكر لنا هذا العمل اليسير وهو الغفور الشكور سبحانه وتعالى.

واتفقنا على أنّ الإنسان يبذل جهده، بقي أن نناقش الدرجة العليا التي نرغب أن نكون من أهلها التي نريد أن نشم رائحتها ونذوق طعمها، فإذا رُزقناها فالله هو الذي تفضّل بها. وإذا لم نُرزقها فنحن باقين على الأمل أن نتعلّم طريقها لنصبح من أهلها بأمر الله.

وهذا الذي نعنيه لحقيقة الذكر، أن الذاكر حقًّا الذي قد جمع قلبه ولسانه ما وصفه ما حاله؟

حال الذاكر بقلبه ولسانه:

أن الذي يذكر بقلبه لابد أن يكون قد سبق هذا الذكر الذي بقلبه وبلسانه **سبقته معرفة**، هذه المعرفة تولّدت من **تفكّر** خصوصًا أننا نعرف أن الذكر إما يكون بذكر أسماء الله عز وجل وصفاته وأفعاله وإما يكون بذكر أوامره ونواهيه.

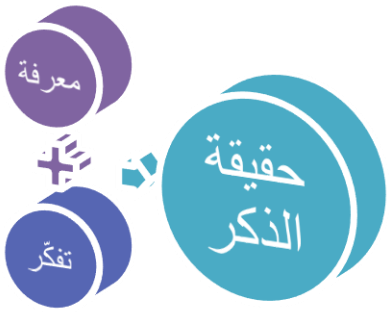

فالقلب الذاكر قد بدأ بالمعرفة وهذه المعرفة أوجبت له ما بعدها إلى أن وصلنا إلى ذكر اللسان، وربما سبق هذه المعرفة تفكّر، وربما لحق هذه المعرفة تفكر، لكن لابد أن تكون هذه المعرفة محاطة بالتفكّر ليحصل لنا اقتران ذكر القلب باللسان.

ولنفصّل في الأمر لنتصوّر هذه الحقيقة ولنشغل قلوبنا بالله وبذكر أفعاله وآلائه فيخرج منا ذكر حقًّا:

نبتدئ ونقول أن القلب لابد أن يعرف الله ويفكّر في هذه المعرفة تفكيرًا يورثه اليقين بالله، فمثلًا يعرف عن الله أنه حليم يعامل العباد بالحلم فحتى لو عصوه لا يعاجلهم بالعقوبة، ويبقي عليهم نعمه، يسمع عن الله هذا ويتفكّر، أولًا يتفكّر في حاله ثم يتفكّر في حال الناس في الأرض وكيف يكون المرء يعيش في نعمة الله ويكفر بالله!

يعيش وهو يعلم أنه لا يتمكّن أن يأتي بنهار يكون فيه معاشه، ولا يتمكّن أن يأتي بليل فيه سكنه، يعيش الإنسان يعرف هذا جيّدًا، ومع ذلك تراه لا يشكر الله! تراه يسكن الليل ويبصر في النهار لكن لا يشكر الله ولا ترى أن الله قد منع أحد من خلقه هذه النعمة.

{اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ}[٥] هذه حقيقة الناس! لا هم يستطيعون أن يأتوا بالليل ليسكنوا فيه، ولا بالنهار ليبصروا فيه، {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا}، وهذا الذي أنتم فيه من فضل الله، {إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ} صاحب فضل عظيم، نُكّرت فضل للدلالة على التكثير، ليس هذا فقط فضله إنّما الله هو صاحب الفضل على الناس، ما موقف الناس؟! ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

ترى هذا في نفسك وفي الناس ثم تقول عجيب بقاء النعم! عجيب أن لا نُمنعها! سبحان الله! ما أحلمه على عباده، ما أكرمه، يخرج من اللسان ما تفكّر به القلب وشعر به في عظمة الله، شعر بحلم الله، شعر بمنة الله، شعر بفضل الله، فربما وقف القلب إلى هنا فما نطق اللسان، لكن الكمال أن ينطق اللسان فيقول سبحان الله ما مثله أحد! سبحان الله كيف يتعلق القلب بغيره كما يتعلق به!

أو يقول الحمدلله أنه لم يعاجلنا بالعقوبة، الحمدلله أنه صاحب الفضل على الناس ولا يستطيع الناس أن يمنعوا فضل الله عليهم، فلو استطاعوا الناس منع الهواء كان منعوه عن بعضهم لأحقادهم وحسدهم! فهم بطبعهم إن تمكّنوا آذوا من كان ضعيفًا، ولذا الله عز وجل يقول للخلق: {قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا}[٦].

المقصود تتأمّل هذا وتقول لو الخلق يستطيعون أن يؤخّروا النهار أو يؤخّروا الليل لرأيت ذاك صاحب الهوى يطيل النهار وقت ما شاء، يقصّر النهار وقت ما شاء، لكنهم بفضل الله لا يملكون خزائن رحمة الله.

فتبقى تفكّر وتفكّر وتأتي الأمور من جهات متعددة، الحمد لله أنه صاحب الفضل فلا أُذلّ لغيره، الحمدلله أنه هو الذي يحكم لعباده في ليلهم ونهارهم، في معاشهم ومنامهم، الحمدلله الذي جعل الليل سكنًا.

سبحان الله مَن مثل الله يأتي بالشمس ثم يذهب بها! مَن مثل الله يغشي الليل النهار! من مثل الله! سبحان الله!

فتبقى الفكرة وراء الفكرة في القلب تتحرك حتى يخرج من اللسان الذكر الحقيقي الذي نتج عن تفكّر، سواء تفكّر في آلائه وآياته وعظمته وسلطانه وقدرته العامة أو التفكّر في أحوال الإنسان خاصة.

ونودّ اليوم أن نعدّ هذه الأمور التي نتفكّر فيها ومنها نقول أن الذكر الحقيقي سيكون ناتج أن الإنسان يُطلق تفكيره في هذه الأمور، كل مرة يفكر في هذه الأمور سيصل إلى الذكر الحقيقي.

---

[٥] غافر: ٦١

[٦] الإسراء: ١٠٠

ومن ثمّ يكون عقل هذا الإنسان –كما مثّل ابن القيم– عقله مثل الرحى لابد أن تدور تطحن، فإذا وضعنا فيها مادة تنفع الخلق –يعني وضعنا فيها حبوب تنفع الخلق–، طحنت وأخرجت خيرًا، وإن وُضع فيها تراب أو حصى طحنته، وهذه كلمة شهيرة لابن القيم يقول فيها: وقد خلق الله النفس شبيهة بالرحى الدائرة التي لا تسكن ولابد لها من شيء تطحنه، فإن وضع فيها حب طحنته وإن وضعت فيها تراب أو حصى طحنته" هذه نفسنا! يعني لا يمكن أن تبقى هذه الرحى معطلة.

يقول: "فالأفكار والخواطر التي تجول في النفس هي بمنزلة الحب الذي يوضع في الرحى" الأفكار والخواطر التي تمر بمنزلة الحب الذي يوضع في الرحى ولا تبقي هذه الرحى معطلة، لابد لها من شيء يوضع فيها.

فنتصوّر قلوبنا تفكِّر طوال الوقت طوال الوقت، فإذا وضعنا فيها أفكارًا يعني وضعنا فيها أمور نفكّر فيها ونهتم بها تكون مثل الحب ولذلك يقول: "فمن الناس من تطحن رحاه حبًا يخرج دقيقًا ينفع به نفسه وغيره".

تجد عقله سبحان الله يفكر يفكر فيخرج دقيق، وهذا التشبيه بديع؛ لأن هذا الدقيق تخبزه فتشبع منه لنفسك ولغيرك، تخبزه وتأكله خبزًا، وتأكله فريدًا، وتأكله كذا وكذا، له مائة صورة يدخل فيه، وترى كثير من مأكولات الناس يدخل فيها الدقيق، فنتصوّر فكرة واحدة يفكر فيها الإنسان تخرج دقيقًا تغذّيه وتغذّي غيره وتشبعه وتشبع غيره، وتدخل في هذا وتدخل في هذا.

ثم يقول: "وأكثرهم يطحن رملًا وحصى وتبنًا ونحو ذلك، فإذا جاء وقت العجن والخبز تبيَّن له حقيقة طحنه".

معناه ممكن الإنسان يبقى يطحن يطحن ولا يشعر بأنه طحن تبنًا أو حصى أو رمل، لكن لما يأتي يبحث هل هو شبعان متغذي؟ يريد أن يعجن يجد الحقيقة، وغالبًا لا زمن للإصلاح إلا من أراد الله به خيرًا فنجاه في وقت يستطيع فيه أن يدخل على رحاه حبًا بعد تنظيفه من القاذورات.

فهذا يجعلنا الآن نقول ما هي هذه الحبوب التي سندخلها في أفكارنا؟ ماذا سنفعل من أجل أن تصفى عقولنا وتكون هذه الرحى فيها من الخير ما فيها؟

∴ أولًا نذكّر أنفسنا بآية سورة سبأ: **{قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ}**[٧]، وهذه الآية فيها إرشاد، فيها وعظ، فيها مدح بهذه الواحدة العظيمة الفريدة التي لو صدقتم في فعلها لاسترشدتم إلى الطريق المستقيم وذكرتم رب العالمين، ودخل الإيمان إلى قلوبكم وعرفتم إلى وجهة تتجهون وأي باب تغلقون وأي باب تفتحون، ما هي هذه الواحدة الفريدة؟!

- **{أَنْ تَقُومُوا}** وهنا تقوموا بمعنى تجتهدوا، تقوموا بمعنى تصدقوا، تقوموا بمعنى تبذلوا.

[٧] سبأ: ٤٦

- {أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ} صادقين لله لا تفاخرون لا تراؤون، لا تتبعون من يغلب، إنما تقوموا لله.
- {مَثْنَى} سواء كنتم مثنى أو كل واحد وحده {وَفُرَادَى}، وإن كنت وحدك صادقًا، نفعك تفكيرك، وإن رُزقت صادق مثلك يريد الخير فتصبحوا لبعضكم كالتلقيح، أفكاركم تتلقح، فتنتج وتكبر وتعظم وتكون في الخير ويكون هذا كله لرحاكم بمثابة من طحن فوضع خميرة في هذا الدقيق فينتفخ وينفع وينضج.
- {ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا} في هذه الأمور.

في سياق آية سبأ تفكروا في حال الرسول صلى الله عليه وسلم، تفكروا في صدقه، تفكروا في كلامه، تفكروا في أوامره، انظروا كل أمر أمركم فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، وانظروا ضده وتأمّلوا هل ما أمر به الرسول خير أو كان أحسن أن لا يأمركم؟!

وابدؤوا بالبعيد عنكم إلى أن تقتربوا بالقريب منكم، ابدؤوا في دين الله من أوله هل لما أمرنا أن نستغيث بربنا القريب منا في كل حال وأن لا نحتاج بيننا وبين ربنا أي أحد أبدا وأننا إذا أردنا أن نسمعه قرأنا القرآن، وإذا أردنا أن نكلمه قمنا فصلينا وسجدنا واقتربنا وناجينا وانكسرنا وتذللنا وبكينا واشتكينا أنفسنا واشتكينا ظالمينا ونفثنا مما في قلوبنا حتى تهدأ نفوسنا.

هذا خير أم أن نخرج من بيوتنا فنذهب لحجارة ونشتكي عندها! ونذهب لمقبورين ونقول –والعياذ بالله– يا سيدي فلان يا سيدي فلان وهو مقبور ميت لا تدري ما هو! كان في دنياه لا ينفع نفسه، ولا تدري صدقهم من كذبهم، أم يذهبون لرجل حيّ فيعطيهم صكوك الغفران! أو يسجدون عند باب ساحر أو كاهن.. إلى آخره!

واليوم ليس سرًا كيف يتبركون بالبقر وكيف يتمسحون في بوذا وكيف يرحلون إلى جبال التبت ليقفوا عند فلان وعلان!! ليس سرًا والناس يرون الصور فتتقزز نفوس الموحدين وتذكر الله غصب عنها الحمدلله رب العالمين، الحمدلله الذي شرفنا بالتوحيد، الحمدلله الذي لم يجعلنا أن نسجد لغيره أبدا!

- يا لله لما ترى أحد يسجد لبشر!
- يالله لما ترى أحد يسجد لحجر! كم في ذلك من هضم للإنسانية ولعقول من يقول أنه يتفكر أو يفكر!

الشاهد أن قوموا لله مثنى وفرادى وهاتوا ما عندكم من معلومات عن النبي المصطفى وانظروا ما أمركم وابدؤوا بالتوحيد رأس كل شيء وفكروا كم من رحمة الله أننا في الأرض عباد لنا إله واحد، إذا اشتكت قلوبنا اشتكينا له، إذا اشتكت أبدننا اشتكينا له، طبيبنا يطبب أبداننا وقلوبنا.

نناديه تنام العيون وهذا المريض لا ينام فينادي الشافي أن يسكّن ألمه، وينادي وينادي فما يخذله!

ويقال له كل الذي شعرت به من ألم يغسلك حتى تذهب خطاياك، لا تقلق، فيطمئن.

تتضيق عليه الأموال يقول يارب فيفرجها، تضيق عليه الأنفس فيقول يارب فتقبل، يضيق عليه الحال مع أي شيء كان فيسبق قلبه لسانه بالفزع فلا يجد إلا الفرج، وإن تأخر علم أنه يسمعه وسيعطيه في الوقت المناسب.

فكم لله على خلقه من نعم لما أرسل هذا الرسول الكريم وجعل رسالته التوحيد.

تأمّل وفكّر فيما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم من أمر يتصل بالشرع كله بدون استثناء، وكن منصفًا، فلا عقل منصف خارج عن الهوى يقبل صورة سكران يترنّح أو يتكلم أو يقيء أو يكشف عورته! لا عقل يقبل هذا إن خلا من الهوى، لذلك **{أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى}**.

ما أحسن ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم، من خلا من الهوى ومن العشق ومن الغرام وكل الأمور الساقطة التي يثيرها الإعلان لا يمكن في لحظة أن الزنا شرع يُقبل، بل يعلم أن العفة هي التي تُقبل، وأن طرقها كلها التي أتت بها الشريعة في مكانها.

وهكذا إلى أن تصل إلى الشيء القريب منك، حتى لو كانوا أهلك لا ينفذوه، حتى لو كان حالك لا يوجد فيه.

مثلا كم نبغض أن ندخل على مجلس ونجد أن الناس يتكلمون عنا، يذمونا، فما أحسن هذه الشريعة التي حرّمت الغيبة!

ما أقسى أن تكوني أنت وخاصتك، أنت وزوجك، أنت وبناتك وأبنائك.. تتسارّون في أمر خطير في مشكلة تودون سترها، تمرون بها، تخافون أن تفضحون، ما أقسى أن تخرجي من ذلك فتري من يتجسس عليك! والشريعة حرمت هذا، فتفكري في هذا وتقولي سبحان الله ما ألطف الله بنا!

بل أعظم من ذلك تجدي كل أبواب البيع وأحكامها بالتفصيل لمن تأمل فيها تدور حول أمر واحد (أنت وإخوانك، لا تفسد العلاقة معهم، لا تناجشوا، لا يبع بعضكم على بيع بعض، لا يستقبل الحاضر البادي في البيع حتى ينزل السوق حتى لا يغشوا البادي الذي لا يعرف..) إلى أن تصل إلى (لا تخطب على خطبة أخيك!) فكر فكر، سبحان الله، كيف لو خطب على خطبة أخيه ماذا يكون؟ يكون كذا وكذا، وهنا موقف يشهد وهنا موقف يشهد..

سبحان الله كيف (الحمو الموت)! ما أعظمك يا ربنا ما أحلمك ما أعلمك يا ربنا، ما أحكمك يا ربنا سبحانك وبحمدك، وهكذا وهكذا يبقى العقل يفكر (هذا قلبك) **{لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا}**[٨] يفكر يفكر ومادة تفكيره الشرع، هذا الذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم، فيخرج من اللسان ذكر الرحمن، ويبقى تمر عليه المواقف أو تمر عليه الأحكام أو يستجلبها هنا أو يأتي من هنا أو

---

[٨] الأعراف: ١٧٩

يأتي من هنا، إلى أن يصل إلى كل شيء يمارس أو لا يمارس، موجود أو مفقود فيقول ما شُرع هباء، ما أُمرنا به ظلمًا، ما مُنعنا عن ذلك وهو ينفع! إلا أن أهواء الناس التي يثيرها الشيطان!

ولذا لا يصلح في مثل هذا أن يأتي شخص صاحب هوى ويقول أنا سأتفكّر، لا لابد أن تقوم وأنت صادق لله، مثنى وفرادى، وتفكّر مع مَن هو أعلم منك مثلًا في مسألة معينة.

يأتي أحد يقول لك لو تعلم كيف في مسألة الحضانة الشريعة تجعل مصلحة الطفل فوق كل مصلحة، تعرف أن ما يقولونه من حقوق الطفل إنما هي كذبة كبيرة! ولما تسمع كيف هي تفاصيل الحكم الشرعي في الطلاق، تعرف كيف هذه الأحكام نزلت من عند الرحمن، تشهد على أن هذا الدين حق وأن الذي أنزله رب العالمين الذي خلق هذا الإنسان ويعلم ما في نفسه.

فالمقصود أن هذا من الحَبّ الذي يُلقى في الرحى فينتج دقيقًا يُشبع العبد لما يأتي العجن يكون سهلًا يسيرًا، فإذا تلاقحت مع غيرك وفكرت وفكرت وأتيت لهؤلاء المتخصصين ولهؤلاء والذين يفهمون في الأموال وهؤلاء يفهمون في الأحكام القضائية وهؤلاء يفهمون في الطب، وترى هؤلاء يشهدون وهؤلاء يشهدون وهؤلاء يشهدون فيزيد ذكرك لرب العالمين، تزيد طمأنينتك له، يزيد يقينك به، ما أعظمك ما أرحمك ما أكرمك!

ويبقى قلب الإنسان أول ما يسمع في أزمة أن هذا حكم الله أن هذا أمر الله يقول آمنت وسلّمت! إذا الله قضى وهو أحكم الحاكمين وهو أرحم الراحمين وهو رب العالمين كيف لا أرضى بحكمه؟!

يُذكر الله فيطمئن قلب هذا العبد الذي قلبه قد طحن وفكّر وتأمّل ورأى، إن وُجد وإن لم يوجد، إذا لم يكن هذا الشرع ماذا يكون! لو كان هذا ماذا سيكون! لو لم يكن الحمو الموت ماذا سيكون؟! كم ستختلط أنساب! كم سيكون هناك مقارنات! كم سيحصل بينهم وبين هذه العوائل من تشابكات!

ولا تقل طاهرين فإنّ الله عزّ وجلّ أعلم بما في نفوس الخلق، وأعلم بعدوهم الذي يؤزّهم أزًّا، ثم أن الوقائع كلها تشهد بذلك!

فالمقصود أننا سنفكّر كما يفكّر أولو الألباب، يتفكّرون في خلق السماوات والأرض ماذا يقولون؟ **{رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}**[٩].

- ✓ اتفقنا أننا سنفكر في الآيات الكونية التي تحيطنا ومنها سنجد أنفسنا قد استمتعنا بمعرفة الله وباليقين فيه.

[٩] آل عمران: ١٩١

- ✓ واليوم نفكر بما أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتبيَّن لنا أنّه رسول كريم من ربّ العالمين، وأنّ الله قد امتنّ به علينا، وأنّ كل شرع شرعه لنا جاء من عند ربنا الحكيم العليم الرحيم، فنعلم أنه نذير بين يدي عذاب شديد، فتستعدّ القلوب وتذكّر لقاء ربّ العالمين، وتفهم النذارة، وتطلب البشارة، وتدفع الشرّ وأهله، وتقرّب الخير وأهله، فهذا تفكير في الشرع كما كنا أمس نقول تفكير في الخلق.

فهذه حبوب لابد منها، ولا يغيب عن الذاكر ذكرها، كلما ازداد لها ذكرًا، كلما زاد بها انتفاعًا، كلما زادته هو ذكرًا وزادت بركته، فإنّ هذا الذي يفهم بعمق ويفكّر ويفكّر من عجائبه أنه لا يستطيع إلا أن يقول فكرته مع خاصّته أو من يجالسهم، فهو يفكّر فُرادى وتراه مثنى مع مَن يجالسه يذكر له ويساعده على التفكير، فتظهر بركته ويبقى من حوله مسبّحين مكبّرين معظّمين لربّ العالمين، فيكون هنا التفكّر أتى بذكره هو –هو يذكر الله– وأيضًا يرشد الخلق لذكر الله.

فنرجو من الله أن نكون مِن هؤلاء الذين نفعتهم قلوبهم فتفكّروا فيما يجعل ألسنتهم تنطلق بذكره سبحانه وتعالى.

- ✓ إن شاء الله سيكون كلامنا غدًا عن مجال ثالث من مجالات التفكير تؤدي إلى الذكر (عن التفكير فيما ضرب الله من أمثلة في القرآن) فإنها تُرينا صور عجيبة هذه التي ضُربت لنا، هذه الصور تجعلنا دائمي التفكير فيما نراه.

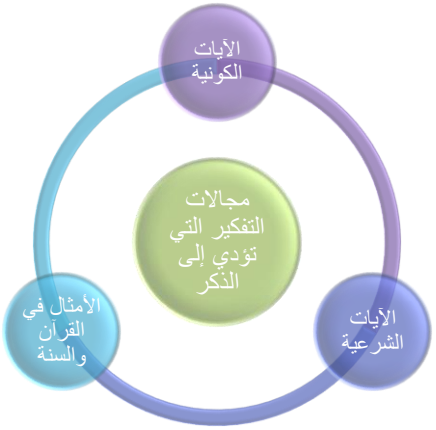

من ذلك ما ضرب الله عز وجل مثلًا في سورة البقرة في قوله تعالى: **{أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ}**[١٠].

- **{أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ}** هذا وصف حديقته
- **{وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ}** وأصاب صاحبها الكبر، وليس هو فقط المنتفع بها

[١٠] البقرة: ٢٦٦

- {وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ} صفتهم أنهم {ضُعَفَاءُ}، فأصابت هذه الحديقة التي من نخيل وأعناب وتجري من تحتها الأنهار
- {فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ} كانت النتيجة أنها احترقت.

فكر جيدًا في هذه الصورة، فكر في صورة جنة بستان لم يصبح بهذه الحالة إلا بعدما بذل فيه عمره وهو يتأمّل أن ينفعه ثم في ليلة يأتي إعصار فيه نار فيذهب! ولو قدر أن أحد يموت حزنًا كان هو مات من أن يصبح فيرى رأس ماله وجهده وبذله قد ذهب!

وليت الأمر يقف هنا إنما ذريته الضعفاء لا يستطيعون لا حرثًا ولا قطفًا ولا حصدًا ولا يستطيعون معاونته! فكانت النتيجة أنه ستبقى الأرض على حالها وهو سيكون في أردى حال تُتصوّر بعدما كان عنده ما يغنيه.

تصوّر هذه الآلام تصوّر هذه الأحزان تصوّر هذه الجهود المهدرة وتصوّر كيف أنّ العبد يمكن أن يبذل الجهد فيزرع له بستانًا من الطاعات والحسنات والأمور المقرّبات ثم يحرقه بالمنّ والأذى! فيكون في حاله كحال هذا الذي فقد مزرعته في وقت أشدّ ما يكون بحاجة إليه، فإنّ مَن أنفق خالصًا لوجه الله ثم بعد إنفاقه خالصًا فسدت نيّته فأتبع ما أنفق منّ وأذى، كانت هذه حالته.

فالمقصود أنّ الله عز وجل أرانا من صور الآلام النفسية التي يكرهها الإنسان ولا يحب أن يكون فيها، أمور كثيرة في القرآن واضحة، وأرانا من الصور المبهجة النفسية صورًا واضحة، ثم فكِّر فيها وفكِّر فيما وراءها، وانظر بعد ذلك للحياة بنفس القواعد التي تستفيدها من هذا فتكون قد ذكرت.

وسيأتينا إن شاء الله كيف يأتي وراء هذا ذكر الله وبقاء القلب متيقّظ واللسان ذاكر. نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من هؤلاء..

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.